

THE PSYCHIC STRUCTURE of CIRCUMCISED FEMALE

(A Study in Psychoanalysis)

البناء النفسى للإنتى المختنة

(دراسة فى التحليل النفسى)

ملخص رسالة دكتوراه

د. إيناس عبد المنعم محفوظ حشاد

قسم علم النفس - جامعة عين شمس

The Psychic structure of Circumcised female (A study in Psychoanalysis)

البناء النفسي للأنثى المختنة

(دراسة في التحليل النفسي) ملخص رسالة دكتوراه

د. ايناس عبد المنعم محفوظ حشاد ، قسم علم النفس

جامعة عين شمس

مقدمه :

يتعرض عدد كبير من الإناث في مجتمعنا لخبرة الختان بأشكال مختلفة ومن قبل أشخاص غير متخصصين ممن ليس لديهم دراية بالطب فيقومون بها بشكل اجتاهدي قد يتسبب في تعرض الأنثى للعديد من المضاعفات الجسمية والجنسية والنفسية الخطيرة وذلك نتيجة للجهل بالطريقة الصحيحة لإجراء تلك العملية أو استخدام أدوات غير معقمة دون اللجوء لأي مخدر مما قد يكون له تأثير نفسي عميق على الأنثى ٠٠ فتلك الممارسة الخاطئة ٠٠ بما تتضمنها من أحداث - قد تكون بمثابة خبرة صدمية غير سارة تظل كامنة ومستترة في النفس وقد أشارت كثير من الداسات إلى أن تلك الخبرة كثيراً ما تتسبب نتيجة للجهل في حدوث كثير من المضاعفات الجسمية الخطيرة فضلاً عما تسببه من صدمة نفسية عنيفة كنتاج للخوف والألم الشديد المصاحبين لها.

فما أن تبلغ الفتاة التاسعة أو العاشرة من عمرها وقبل أن تبدأ مرحلة البلوغ تأتي تلك المرأة المسماة "بالداية" وتجري لها عملية الختان بشكل عنيف مستخدمة "موس" وقد يحدث الموس الحاد نزيفاً غزيراً وفي بعض الأحيان تفقد الفتاة حياتها قبل أن تتفقد أما الصدمة النفسية لهذه العملية على الطفلة الصغيرة تكون بالغة الشدة وتظل صورتها راسحة في ذاكرة الطفلة مما يسبب لها مشكلات كثيرة فيما بعد ٠٠

وتختلف أشكال الختان ما بين استئصال جزئي إلى استئصال كامل للبظر ومن ثم لكل مجتمع بل لكل جماعة ثقافية معينة طريقة ما لإجراء تلك العملية وفي أكثر أشكال الختان شدة (Infibulation) تستأصل تقريباً الأعضاء التناسلية الخارجية بالكامل وتغلق بالخياطة وعادة ما يتم الاستئصال بواسطة موس أو سكين أو مقص ونادراً ما يستخدم مخدر.

ولا شك أن اختلاف أشكال الختان يرجع إلى ارتفاع نسبة إجراء تلك العملية من خلال غير المتخصصين ممن ليس لديهم المعرفة الدقيقة لكيفية إجرائها فيقومون بها بشكل اجتاهدي فبعد أن كان الجسم أداة يمارس بها الإنسان إنسانيته أصبح مستهدفاً لعمليات يشوبها الجهل تشوه أعضائه فإجراء تلك العملية من خلال غير الأطباء والمتخصصين ودون وجود أساس جراحي سليم قد يتسبب في تشويه العضو التناسلي للمرأة - فضلاً عن التشويه النفسي - نظراً لجهل القائم بتلك العملية بالأصول الجراحية لها ٠٠

وتحاول تلك الدراسة إلقاء الضوء على البناء النفسي للأنثى التي تعرضت لتلك الخبرة حيث يتخلص موضوعها في فحص ديناميات شخصية تلك الأنثى وذلك من خلال منهج التحليل النفسي من أجل الكشف عن طبيعة صورة الجسم ، إدراك الدور الجنسي ، ميكانزمات الدفاع ٠٠٠٠ إلى غير ذلك من الملامح التي تمكننا من التعرف على البناء النفسي للأنثى التي أجريت لها عملية الختان على هذا النحو .

أهمية الدراسة:

الحقيقة أن استقرار التراث السيكلوجي العربي المتاح أو المنشور في موضوع "ختان الأنثى" يوحى بالندرة حيث لا نجد إلا القليل جداً من الدراسات العربية التي تناولت ذلك الموضوع على الرغم من أهميته وارتباطه بصحة الأنثى جسدياً ونفسياً .

ومن ثم تأتي أهمية تلك الدراسة في أنها تلقى الضوء على تلك الممارسة بوصفها عادة اجتماعية لها تأثيرها النفسي على الأنثى ذلك التأثير الذي لم تتناوله جميع الدراسات المتاحة والمتعلقة بذلك الموضوع حيث تركزت الدراسات على انتشار تلك العادة وتاريخها أو أنماطها ولم تعط اهتماماً مستفيضاً للتأثير النفسي لها ولا شك أن انتشار نسبة ختان الإناث يجعل منه موضوعاً جديراً بالدراسة حيث نجد حوالي ١٣٠ مليون من النساء قد أجريت لهن عملية الختان وحوالي ٦٠٠٠ من الفتيات يتعرضن لتلك العملية في جميع أنحاء العالم يوميا .

ولا تعتبر مصر البلد الوحيد الذي تنتشر به تلك الممارسة فالإحصائيات الحديثة لمنظمة الصحة العالمية تكشف عن انتشار ختان الإناث في حوالي ٤٠ دولة وتقدر نسبة الفتيات المصريات اللاتي أجريت لهن عملية الختان قبل مرحلة البلوغ بحوالي ٧٠ إلى ٩٠ % وعلى الرغم من ذلك لم تحظ تلك الفئة من الإناث بكثير من الدراسات كما أن الدراسات المتاحة لم تتناول ذلك البعد النفسي الهام المرتبط بإجراء تلك العملية من قبل الجاهلين غير المتخصصين ومن ثم تعتبر تلك الدراسة بمثابة الدراسة الأولى في هذا المجال والتي تحاول الكشف عن البناء النفسي للأنثى المختة كما أنها تضيف بعداً دينامياً هاماً إذا تتناول (ختان الإناث) من وجهة نظر التحليل النفسي للنفاذ إلى أعماق أعماق النفس فتميط اللثام عن مظاهر الحياة النفسية للأنثى المختة ولا شك أن صورة الجسم هي سبيلنا إلى كشف تلك الجوانب الدينامية الهامة وفهمها فالتحليل النفسي هو إبداع وعبقريّة إنسانية وانقلاب فكري يتيح فهماً لبواطن الأمور وأبعادها الكامنة الخفية والتي تقف أمام مجهولة الإنسان أو دفاعاته.

وعلى هذا يمكننا إيجاز أهمية الدراسة في :

الأهمية النظرية :

دراسة ديناميات شخصية الأنثى المختنة مما يساعد على إلقاء الضوء على الآثار النفسية المرتبطة بإجراء تلك العملية من قبل غير المتخصصين مما يخدم المهتمين بموضوع الختان عامة وكذلك المهتمين بقضايا المرأة العربية بشكل خاص . . . خاصة وأن أعداد الإناث اللاتي يتعرضن لذلك الإجراء من قبل المتخصصين في تزايد مستمر .

الأهمية التطبيقية:

- الاستفادة من نتائج تلك الدراسة في إعداد برامج توجيه للأباء والمعلمين وتوعيتهم بخطورة إجراء تلك العملية من قبل غير الأطباء حتى نتفادى تعرض الفتيات للآثار الجسمية والجنسية - والنفسية على وجه الخصوص - التي تستمر طوال الحياة .

تساؤلات الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة على تساؤل أساسي هو :

ما هي سيكوديناميات البناء النفسي للأنثى المختنة ؟

والإجابة على ذلك التساؤل تستدعي الإجابة على التساؤلات الجزئية الآتية :

١- ما طبيعة صورة الجسم لدى الإناث المختنات ؟

٢- ما هي هوية الدور الجنسي لدى الإناث المختنات ؟

٣- ما هي ميكانزمات الدفاع الغالبة لدى الإناث المختنات ؟

٤- ما طبيعة القلق وموضوعاته لدى الإناث المختنات ؟

٥- ما هي الصراعات ذات الدلالة لدى الإناث المختنات ؟

٦- ما هي دينامية العلاقة الشخصية المتبادلة بالجنس الآخر لدى الإناث

المختنات؟

(وتتناول تلك الدراسة - كما سبق وأن أشرنا - تلك الممارسة الخاطئة لعملية الختان والمتمثلة في إجراء تلك العملية من خلال غير المتخصصين وما يتضمنه ذلك الإجراء من أحداث تجعل منه خبرة صدمية قد تؤثر على البناء النفسي للأنتي).

المنهج والإجراءات:

نجد أن النظر إلى الإنسان في وحدته الكلية باعتباره كائن تاريخي يعيش في مجتمع لا يتفضل عن مجرياته ويتأثر كيانه بكل ما فيه هي الرؤية التي نتبنى مسلكها هاهنا أي الوقوف على الدينامي في تقييمنا لشخصية الفرد وهذا المنحنى الدينامي يشير إلى مبحث التحليل النفسي ومن ثم فسوف تعتمد الدراسة على المفاهيم النظرية وتاويلات التحليل النفسي كي نتمكن من الوصول إلى أعماق التفسيرات وأكثرها دلالة . . . ونظراً لأننا بصدد دراسة حالات فردية فإن الطريقة المناسبة لدراستها هي طريقة دراسة الحالة كما يمكننا تاريخ الحالة من تفسير نتائج الاختبارات فنتيجة أي اختبار لا يمكن أن نقف وحدها وإلا فقدت معناها . .

١- عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من مجموعتين من الفتيات المصريات ، تتكون المجموعة الأولى من خمس فتيات مختنات أما المجموعة الأخرى فتتكون من خمس فتيات غير مختنات وتتراوح أعمار الفتيات في كل مجموعة ما بين ٢٠ : ٢٥ سنة وقد روعي عند اختيار الفتيات المختنات الآتي:

- أن يكن غير متزوجات .
- أن تكون عملية الختان قد أجريت لهن في المرحلة العمرية ما بين ١٠ : ٧ سنوات .

- أن تكون عملية الختان قد أجريت لهن من قبل غير المتخصصين (القابلة "الداية" أو حلاق الصحة أو ٠٠٠ إلخ) مما يمثل نوعاً من الممارسات الخاطئة للختان .

وقد تم اختيار المجموعتين من نفس المنطقة السكنية (عين شمس) وروعي تماثلها- قدر الإمكان - في كثير من المتغيرات التي قد تؤثر من قريب أو بعيد في استجاباتهن ٠٠ وينبغي الإشارة إلى أنه لم يتم اختيار العينة من المتزوجات تجنباً لتدخل عوامل أخرى مرتبطة بخيرة الزواج من شأنها أن تؤثر على استجابات الفتيات كما تم اختيار العينة ممن أجريت لهن عملية الختان في السن من ٧: ١٠ سنوات إذ اتفقت كثير من الدراسات على أن تلك هي السن التي يتم فيها إجراء تلك العملية فضلاً عن قدرة الفتيات على تذكر أحداث تلك المرحلة العمرية بشكل أفضل عما قبلها ويرجع اختيارنا لذلك الشكل من الختان والمجرى من خلال غير المتخصصين إلى مدى انتشاره الواسع حيث أظهرت كثير من الدراسات أن النسبة الكبرى من القائمين بتلك العملية إنما هم من الجاهلين ممن ليس لديهم الدراية الكافية بإجراء مثل تلك العملية .

٢- أدوات الدراسة :

(أ) (المقابلة غير المقتنة (الحرّة) Unstructured Interview .

(ب) اختبار رسم الشخص لماكوفر Draw A Person Test .

(ج) اختبار الروشاخ (بقع الحبر) The Rorschach Test .

وتم استخدام الأسلوب الكيفي في التفسير والذي يستند إلى تحليل استجابات تلك الاختبارات وتفسيرها من وجهة نظر التحليل النفسي .

نتائج الدراسة :

- فيما يتعلق بمجموعة الإناث المختنات :

أظهرت النتائج ملامح للبناء النفسي لديهن نوجزها فيما يلي :

- فيما يتعلق بصورة الجسم فكانت صورة مفككة ممزقة ، مزيج من الملامح الذكورية والأنثوية مما يعكس اضطراب الهوية الجنسية والدور الجنسي لديهن .
- انخفاض تقدير الذات منع سيادة مشاعر النقص والدونية .
- ظهرت الحاجة إلى القوة إلى محاولة تعويض ما يشعرون به من ضعف كما ظهرت الحاجة إلى التواصل مع العالم الخارجي فضلاً عن الحاجات الإعتماضية والفعية إلى جانب الحاجة للتلامس الجسمي مع الأم .
- اتضحت صورة للعالم الخارجي غير الآمن والمحبط .
- من بين الميكانزمات الدفاعية المستخدمة : الانشطار ، التكوين العكسي ، النكوص ، الكبت ، الانسحاب والعزل.
- اتسمت العلاقة بالأم بالثنائية الوجدانية ، فهي الأم المحبة الحنونة وهي أيضاً غير القادرة على العطاء .
- ظهر القلق المرتبط بتقبل الذات من الآخرين والقلق من تعرض الذات للإسداء الجسمي .
- ظهر الصراع بين الجانب الذكري والجانب الأنثوي أي الصراع المتعلق بالتعيين الجنسي إلى جانب الصراع بين الحاجة لتقدير الذات والحصول على قبول الآخرين وبين عدم القدرة على التواصل معهم في نفس الوقت.
- اتسمت الأنا بالسلبية والعجز وعدم الكفاءة.
- ظهر الكف في العلاقة بالجنس الآخر لدى معظم الحالات.
- فيما يتعلق بمجموعة الإناث غير المختنات :
- أظهرت النتائج ملامح للبناء النفسي لديهن نوجزها فيما يلي:

- ظهرت صورة الجسم المتكاملة التي تتسم بالتناسق والاتساق والاعتدال كما ظهر التمايز فيما بين الملامح الذكورية واللامح الأنثوية مما يعكس إدراكهن لدورهن الجنسي .
- ارتفع تقدير الذات لدى حالتي بينما انخفض لدى باقي الحالات .
- ظهرت الحاجة للقبول الاجتماعي من الآخرين في العالم الخارجي إلى جانب الاعتمادية على الموضوع (الأم).
- ظهرت صورة للعالم الخارجي الذي يتسم بالأمن والعطاء لدى حالتي في حين تبدت صورة للعالم الخارجي غير الأمن لدى باقي الحالات .
- من بين الميكانزمات الدفاعية المستخدمة : الإسقاط ، الكبت ، التكوين العكسي .
- ظهرت صورة للألم المحبة القادرة على منح الذات الحب و العطاء لدى ثلاث حالات في حين ظهرت صورة للألم غير القادرة على الحب لدى باقي الحالات.
- ظهر القلق من الفشل والقلق حول تقبل الذات من الآخرين في البيئة .
- ظهر الصراع بين الحاجة إلى الحصول على قبول الآخرين وبين عدم القدرة على التواصل مع هؤلاء الآخرين في الوقت نفسه.
- اتسمت الأنا بالتماسك والكفاءة وإن تبدت ملامح الضعف لدى حالة واحدة .
- ظهر الكف في العلاقة بالجنس الآخر لدى حالتي بينما ظهرت الحاجة للتواصل مع الجنس الآخر والعلاقة التي تتسم بالثنائية الوجدانية فضلاً عن العلاقة المتمسة بالعطاء والتقارب الوجداني لدى باقي الحالات .